

الحجاج والأشكلة في منظور ميشال ماير

الأستاذ الدكتور حفيظ ملواني

جامعة البليدة 2 - الجزائر

الملخص:

يستدعي الحجاج المتعلق بالتخاطب في منظور ميشال ماير (Michel Meyer)؛ استنادا إلى مؤلفه الموسوم بـ "من علم الأشكلة (De la problématique)" ضمن عتبة فلسفة اللغة؛ قراءة جديدة في نظام المسألة الحجاجية بأدوات الأشكلة الفعالة، ما يعني ضرورة تجاوز موضوع الحجاج في دلالاته الضيقة و مجرى مقامه التقريري إلى مستوى اشتغال وظيفة المسألة في نطاق الملفوظ الذي يجري التصريح به؛ الذي قد يحقق على ضوئه قيمة حجاجية (valeur argumentative)؛ بمعنى بمجرد أن يلجأ المتكلم إلى صياغة فكرة ما؛ تكشف عن موقفه أو تعكس رغبته ؛ فهو بطريقة أو بأخرى يجاهر بسؤال، يطرح قضية تحتاج إلى حلّ، هذا ما يكون بالضرورة لدى المتلقي لهذا الخطاب و هو في موقع المعارض أو المخالف؛ دفعا لإنتاج خطاب آخر يوازيه؛ بالكيفية التي يراها مناسبة له تخدم غرضه القصدي أو القطعي المفترض ؛ ما يجعل الموقف الذي تمّ تشييده لدى المتكلم ، عرضة للنقاش و الجدل ؛ عبر الأخذ و الرد، ما يعني أن هناك وجها حاصلا ممكنا من أوجه الحجاج ؛و من ثمة ستظهر العلاقة الخفية و الوطيدة بين ما يقوله الخطاب في نطاق دلالاته و ما يشكل وقع الحجاج فيه؛ فاستثمار هذه العلاقة البحثية من منطلق هرمينوطيقي هي نواة هذه الورقة النقدية المزمع تقديمها انطلاقا من عتبة التنظير

لدى ميشال ماير.

قد يصعب على الدرس العلمي أن يخضع الحجاج للمساءلة في سياق الأشكلة التي يعرضها ميشال ماير دون النظر في الوجه البلاغي الذي أنتجه؛ لأنه هو الذي منح فرصة تجلي الاختلاف بين الأفراد في المواقف و الرؤى، و بالتالي دفع إلى مسعى إمكانية تحقيق الإقناع على ضوء اشتغال أساليب المناورة مع إثارة الفعل و رد الفعل في سبيل تغليب رأي على آخر؛ لكن هذا لا يعني حصول التطابق الآلي بين مقولة البلاغة و مقولة الحجاج؛ فالبلاغة هي أوسع و أشمل باعتبارها فن القول للإقناع و هو ما لا يمنعها من استخدام أدوات الحجاج التي تخاطب العقل و دواعي إثارة الأحاسيس و طرح القضايا فيما يتناسب مع هذا المقام.

1- أعتبة البلاغة

يموقع ميشال ماير (Michel Meyer) البلاغة في سياق يجمعها على وجه الضرورة مع الحجاج على الأقل من حيث المبدأ، انطلاقاً من فرضية التأسيس التي تفيد بأنه يتعذر الخوض في مضمار البلاغة بمعزل عن الخطاب الذي يجري تشييده و في غياب العملية التواصلية التي تؤمن اشتغاله فبعدها كانت البلاغة في خضم العراك الذي ينفي عنها صفة العلم و اليقين، بدأ اشتغال المنظور العقلاني الذي لا يقبل الإملاءات و يجعل كل أمر محل النقاش و المساءلة؛ و هذا يشكل بدوره منبتاً غير معلى لنظام الأشكلة الذي يبشّر به ميشال ماير، كما يمكن أن يشكل الجانب المعرفي عاملاً آخر يسهل تفهّمه و هو يأخذ بعداً هرمينوطيقياً يصّب تحديداً في إشكالية التوفيق بين ما يقدمه المعنى الحرفي و ما يسوق إليه المعنى المجازي، و عليه فالباحث في البلاغة غير قادر أن يجزم بشكل قطعي أن الخطاب بصورته التكوينية مهما كانت صفته و طبيعته يقتصر على المعنى الحرفي دون تفعيل المجاز، و عندما يقف هذا الباحث و هو يقرأ في منظومة البلاغة وفق منظور أرسطو استناداً إلى تحليل ميشال ماير؛ ستتضح لديه الصورة و هو يمارس التحليل البلاغي، بأنه أقرب إلى البعد الحجاجي أكثر من أي مجال آخر لسبب منطقي، مفاده لا ينال الخطاب حظّه من الإقناع ما لم يعرض الحجة التي تبرّر وجوده في نطاقها الأحادي أو المتعدّد أو في شكلها البسيط أو المركب و عليه يجد الباحث نفسه أمام مسلكين: وجه انفعالي و آخر عقلائي و فيه قصد عفوي و آخر مبيّت؛ ما يفيد أن هناك ظاهراً و باطناً أي إطار في وجهه الصريح و آخر في سياقه

الضمني ما يفضي إلى تمثّل الوجه الإقناعي من خلال إحدى الوظائف التالية:

الوظيفة العقلية: تركز على منطق بناء الفكرة
الوظيفة المعرفية: مرتبطة بطبيعة و حجم و أهمية المعلومات المتوصل إليها
الوظيفة الإمتاعية: على سبيل الإغراء و إشعار المتلقي بنوع من اللذة أو الارتياح إن صح التعبير.

تتهدي البلاغة في وجودها إلى نظام تواصل محكم يربط بين ثلاثة أطراف: المخاطب حيث يكون النظر في: من يكون؟ و إلى: ماذا يدعو (ما قد يعكس أيديولوجيته)؟ ثم الخطاب الذي تتجلى فيه الصيغة التعبيرية في سياق أدوات الإقناع المستخدمة على سبيل التأثير أو الإغراء؛ ما يعني وجود إمكانية الحجاج ثم يليه في الختام الطرف المخاطب و هو المتلقي الذي يمارس عليه مفعول الإقناع إزاء ما يعتقد أو يشعر به. تتحرك البلاغة صوب الحجاج وفق ما أقره عالم البلاغة المعاصر برلمان (Perlman) و هو ينتج لغة جديدة لا تخرج في عمق محتواها عن أصالة الفكرة البلاغية؛ بمعنى كل ما من شأنه أن يكون سببا في استمالة المتلقي لفكرة أو لصالح موقف أو لأجل تبني قرار ما. فالخلاف الجوهرى الذي يمكن أن يحصل بين البلاغة و الحجاج بحسب أطروحة ميشال ماير هو كون البلاغة تركز على الإجابة المترتبة عن السؤال الذي تمّ طرحه ضمنا؛ فتتخذ لنفسها سمة نهائية لحل القضية؛ بالمقابل قد تجد الحجاج ينطلق من السؤال و يتوق للوصول إلى الإجابة دون أن يحسم فيها؛ بذريعة أن الإجابة تتغير بتغير الأفراد الذين يقع على عاتقهم تقديم الإجابة المحتملة. ما يفيد أن المسلك يأخذ باتجاهين متعاكسين؛ فإن كانت البلاغة تنطلق من نظام الإجابة فإن الحجاج ينطلق من فنية السؤال و العكس صحيح؛ و هو ما قد يعد في نهاية المطاف شكلا من أشكال المجادلة عبر فكرة المناظرة إن صح التعبير.

الحجاج

2- فلسفة

عندما استند الخطاب البلاغى و هو يمارس الوظيفة الإقناعية منذ أرسطو إلى الآن؛ فراح يتبع مسلك المنطق؛ في عرض القضايا تماشيا مع ما يحقق انسجام الأفكار في ترابطها و انتظامها و يخدم مجال البرهنة للوصول إلى الحقيقة ليصل في آخر الأمر إلى نتيجة قد يتعذر قبولها بصفة استهلاكية مجانية بحسب تصور ميشال ماير؛ لأن من شأن هذا المسار أن يكرس وجود الحقيقة الواحدة التي تصدر من طرف واحد؛ و كأنه هو الوحيد صاحب هذه الحقيقة الثابتة في اعتقاده؛ ما يؤدي بصورة آلية و تعسفية إلى مصادرة آراء الآخرين؛ وما يجعل هذا الخطاب البلاغى في مآله الأخير غير قادر على إقامة حوار جاد أو حصول نقاش مثمر؛ و حتى يتم تجاوز هذا المأزق إن صح التعبير؛ يمكن توظيف ثنائية السؤال و الجواب؛ ما يكفل حل الإشكال في نطاق الصورة الخطابية الجدلية المرغوبة؛ كأن أن يكون في قالب النفي أو الإثبات؛ المهم ما يسمح بالتحزّر من سلطة المنطق؛ فيتم بذلك تجاوز نظام العلاقة بين القضية الصادقة أو الكاذبة؛ حتى تصير الفكرة المطروحة باعتبارها إشكالا فعليا؛ قابلا للتداول؛ ما يشبه المفاوضات على الصعيد السياسى؛ فيكون تقديم السؤال باعتباره قضية يصحبه جواب؛ قد يؤخذ به و قد يتنازل عنه، فيستدعي سؤالا آخر و هكذا دواليك؛ ما يؤدي إلى تقديم جواب مغاير إلى أن يستقر الموضوع بكامله على نقطة توافقية أو اختلاف حاصل، فالأمر يتوقف عندئذ على نجاعة المنظومة التواصلية؛ فهي التي تحرك

عنصر التفاعل من المخاطب إلى الخطاب إلى المخاطب فكل طرف سيؤدي دوره (l'ethos +logos +pathos) فعندما تصير البلاغة في مقام فن المفاوضات و تبادل الأفكار؛ سيشتغل لحظتها الحجاج في موضع ترجيح الرأي على آخر، بمعنى أنه موضع إقرار بالحل المتوصل إليه؛ و لعل لحظة طرح السؤال على نحو: ما اسم أول رواية عربية ظهرت في تاريخ الإبداع العربي؟ فهو سؤال إشكالي بحق مما يؤدي بالمتلقي المعني بتقديم الإجابة الافتراضية و هو في موقف جدلي عبر ثلاثة احتمالات ممكنة:

احتمال 1: يعرف المتلقي الإجابة دون عناء /هي رواية زينب لمحمد حسين هيكل

احتمال 2: يلجأ المتلقي إلى البحث عن الإجابة ضمن سياق ما؛ بمعنى توظيف الإطار المعرفي المحقق لهذا المطلب /أي سيبحث عن الإجابة بالطريقة التي ترضيه؛ كأن يلجأ إلى معاينة المؤلفات التي تعنى بتاريخ الرواية العربية.

احتمال 3: يكون ملزماً بتقديم أية إجابة للتخلص من أزمة السؤال دون الرهان على صحتها أو على الأقل الحسم في مشروعيتها؛ فقد يصفها بحكايات ألف ليلة و ليلة أو إحدى الروايات المعروفة التي صدرت للكاتب نجيب محفوظ؛ تأتي على لسانه من قبيل الصدفة أو العفوية كقوله: زقاق المدق.

وقد تبرز بوضوح آلية الحجاج حينما سندرك على رأي أسوالد ديكرو (Oswald Ducrot) أن اللغة في اشتغالها لا تقتصر على أن تكون موضع الالتقاء والتواصل بين الأفراد فحسب؛ و إنما تستدعي أشكالاً تعبيرية خاصة محدّدة؛ كي تصير سلوكاً حقيقياً لا يفصل عن واقع الحياة الاجتماعية و لعل كل هذه الترتيبات ستجعل الحجاج عبارة عن آلية اشتغال الخطاب بصورة منطقية؛ معقلنة في سياق تواصلية محدّدة؛ قد يراعي الطبيعة النفسية للفرد و هو في موضع المتلقي أو الجماعة المستهدفة على حد سواء؛ و لذلك سيرسم لنفسه بشكل مسبق على وقع إستراتيجية صاحبه هدفاً مضبوطاً تحسب فيه العواقب؛ ما يحقّق مقوم النجاح في الحد الأدنى؛ و إلا فهو مجرد خطاب لم يف بمستحققات الحجاج؛ فإن وفّ بما يكون قد أخذ بعين الاعتبار مسلك عقيدة القيم التي يؤمن بها؛ بحيث تشكل جوهر تطلّعه؛ ما يجعل غاية الإقناع تؤثر في سلوك المتلقي على منحى الخير أو الشر؛ بحسب نية صاحب الخطاب . يمكن أن يترتب عنه وجود منحى منطقي سائد في الخطاب يلمس من خلال اعتباراته الشكلية أيضاً؛ فعندما تستجيب الأفكار الواردة في الخطاب إلى نظام الترتيب و الترتاب؛ بحيث يقع في ظله تأمين العلاقة القائمة بين الوسيلة و الغاية، ما يعني أن المتلقي سيكتشف بنفسه؛ أن الأطروحة التي يجري البرهنة عليها صحيحة؛ فالافتناع يكاد يكون محققاً إن لم نقل مؤكداً؛ بالنظر إلى الاستعداد النفسي الذي يتمتع به هذا المتلقي؛ دون استبعاد العنصر الملازم له و هو المستوى المعرفي و البيئة الثقافية التي نشأ فيها هذا الأخير؛ و في هذا المحك

شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات

بالذات ستصير البرهنة هي الوسيلة أما الغاية فهي الإقناع؛ ما يعني أن الحجاج يراعي في تكوينه محتوى الخطاب و شكل الخطاب و الطرف المستهدف من الخطاب في الوقت ذاته؛ وقد نلاحظ بأن هذا الحجاج لا يمتد على الخطاب برمته من بدايته إلا نهايته؛ و إنما هناك مساحات نصية عبر فقرات معينة تستجيب لهذا الدور؛ و هذا ما قد يجعل نظرة المتلقي العادي إلى هذا الخطاب لا تختلف عن الخطاب اليومي، و بالرغم من ذلك؛ فسيحاول صاحب الخطاب أن يجعل خطابه على تتمته حجاجا. و لو تساءلنا أين هو السياق الهرمينوطيقي في نطاق هذا التوجه لوجدناه ببساطة أنه ينتقل من مساحة الالفهم إلى مساحة الفهم و هو ما أقره شلايرماخر (Schleiermacher) في سياق فكرة ربط الجزء بالكل أو العكس؛ ما يعني أنك عندما تعرض قضية للمتلقي و هي منزوعة من كل مشروعية أو مصداقية؛ فيغيب فيها وضوح الفكرة؛ ما يؤدي على وجه الضرورة بعدم الاقتناع و السبب المنطقي هو عدم الفهم؛ ما يستدعي منك أن تعيد صياغة الخطاب من جديد؛ بشكل يمكن من إزالة الغموض و هي الآلية التي تصنع الحجة فتمارس بذلك الحجاج؛ ما يفضي بالضرورة إلى فهم المتلقي؛ فيتحقق أثر ذلك بخضوعه لفكرتك؛ لموقفك قولا و سلوكا، بشرط أن تملك الكفاءة التي تراعي مستواه الثقافي .

الأشكلة -3 نظام

الأشكلة ليست معلما تاريخيا لميلاد السؤال؛ بقدر ما هي طريقة جديدة في المساءلة وفق نهج فلسفي جديد إن صح التعبير؛ يراهن على العقل و يدفع بنشاط التفكير أن يلازم عتبة اللغة المنتجة لصيغة هذا السؤال، إذا من شأن الأشكلة أن تؤسس الوجه الجديد لحقل الاستفهام الذي يجعل القضية المطروحة حتى و إن كانت مثبتة، موضوعا، للمساءلة.

فعندما تفكر فإنك تفكر بمنطق أنك تسأل، فالتفكير و التساؤل هما وجهان لعملة واحدة، فالمرء الذي تواجهه قضايا عدة، تراه إما يقدم حلا لسؤال سبق أن طرحه بنفسه؛ و قد يلجأ إلى عرض السؤال على شخص آخر يتوسم فيه أن يكون صاحب الحل لسؤاله بمعنى الحل المواكب للقضية التي تشكل جوهر التساؤل؛ و هنا تحديدا قد يتحول السؤال من إطاره الضمني عندما ينحصر في الأنا إلى شكله الصريح عندما يتحول إلى الآخر إن المقام الإشكالي في أية قضية مطروحة؛ ما هو إلا قراءة في نظام العلاقة بين السؤال و الجواب الذي تمّ اعتماده، و عندما تسعى إلى فهم طبيعة نظام السؤال الذي يحرك بدوره نظام الإجابة؛ فتكتشف أنك في حقل معرفي غير مسبوق؛ يعرف بعلم الأشكلة؛ فتستبدل مقولة القضية و حلها بثنائية السؤال و الجواب؛ على أساس أن الخطاب الذي ينتجه الفرد هو في ظاهره عبارة عن جواب ضمن الوجه الصريح الذي يخفي بدوره السؤال الذي يكون في

شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات

الموقع الضمني ، و قد يتماشى الشكل التعبيري بحسب ما تستدعيه القضية المطروحة أو بالأحرى ما يقتضيه السؤال في حد ذاته ؛ إما أن يأخذ بأسلوب الاستفهام أو بأسلوب الإثبات التقريري أو بأسلوب الأمر ؛ فالكل يتوقف على حجم المعلومات التي يمكن للمرء السائل أن يتحصل عليها ؛ دون أن نستبعد ما يفرضه سياق الموقف بما في ذلك مراعاة طبيعة الخطاب الذي يجري تشكيله على نحو الاختلاف الحاصل بين الخطاب العلمي و الخطاب الأدبي؛ و على قدر اتصاف الخطاب باعتباره خطابا إشكاليا سيكتف مضممار النشاط التأويلي لدى المتلقي ، بالمقابل إن كان يقدم الإجابة الجاهزة فحدة الأشكلة فيه تكون في أقل حظوة إن لم نقل منعدمة؛ و هو ما يمكن معانيته في سياق الحكاية الشعبية ؛ بحيث تكون جميع الأوراق مكشوفة على نحو الوظيفة التركيبية القائمة في بنيتها و تكون نتيجتها حتمية على وقع التأهيل و الاختبار الذي يتعرض إليه البطل؛ كي ينتصر في نهاية المطاف الخير على الشر ؛ تماشيا مع منطق الأحداث ؛ و منه فلا نجد في عتبات هذا الخطاب ما يعيق الوصول إلى الإجابة.

4-حقيقة علم الأشكلة

قد يعود فضل وجود هذا العلم إلى ميشال ماير حيث استخدمه في عدة مجالات منها الفلسفة و البلاغة و نظرية اللغة و كذا نظرية الحجاج و في سياق ذلك يفيدنا كونستنتان سلفاسترو (Constantin Salavastru) بأن يرجع مصدر هذا العلم إلى ما صدر من جاك دريدا (Jacques Derrida) في كتابه "في النحوية (De la Grammatologie) عندما ركز على ظاهرة الكتابة و أبرز أهميتها في نسقها العلمي ؛ تحت مسمى علم الكتابة حيث أثبت أهميتها في تشريع نظام الدال و أكد حقيقتها التأثيرية على مستوى المدلول؛ لأن المسألة مرتبطة بفكرة التسجيل (l'inscription) أو ما يؤمن الحفاظ عليه تماما؛ مثلما يحصل على مستوى الأبعاد التعبيرية و الفنية المختلفة التي تصب في منحى التجسيد كحال الصورة و الصناعة السينمائية و الكتابة الموسيقية و النحت الخ فبالوتيرة نفسها انشغل ماير بظاهرة "الأشكلة" التي أرداها أن تكون علما؛ فأعطى تسمية تليق بهذا المستحق البحثي ألا و هو "علم الأشكلة" ما يعني بالضرورة أن هناك فلسفة جديدة في التفكير بواسطة اللغة تعيد النظر في المقولة الديكارتية "أنا أفكر إذن أنا موجود" ، لتتمحور حول السؤال في مصدره و شكلته و حتى مطلبه و منتهاه ؛ و كأنه يريد أن يقول أنا أفكر إذا أنا أسأل و حيث يكون السؤال موجودا سيتحقق بالفعل أداء التفكير السليم ، كما أن السؤال لا يتحقق من العدم و له فضاؤه التاريخاني الذي يشتغل عليه؛ فعندما يتم توالي الأحداث من الماضي إلى الحاضر لا يتحقق فهمها هرمينوطيقيا إلا من سبيل فهم الماضي انطلاقا من الحاضر حتى يستجيب لمتغيرات عصرنا ؛ و بشكل أدق إن كان الماضي يقدم إجابات قد نراها نهائية و محسومة؛ فهو بطريقة

غير مباشرة؛ مطالب بضرورة التحيين الذي يجعل أسئلة الحاضر مقام البحث و لأجل الوصول إلى إجابات هي الأخرى جديدة في عمقها وهي مستمدة في أصلها من الماضي؛ فكأننا نعيد صياغة الإجابة التي يقدمها لنا الماضي من خلال السؤال الراهن المناسب؛ و هو ما يحرص ماير على تسميته بالقراءة الاشتقاقية التي تعني أساسا قراءة الماضي على ضوء الحاضر باعتباره أداة تفكيكية، و حيث يتم الانتقال من الماضي إلى الحاضر، من الثابت إلى المتغير؛ فيكون من الجواب إلى السؤال ما يعني حينئذ أنه بالإمكان أن يشتق من الجواب و هو في قيد الفرع السؤال باعتباره الأصل و العكس صحيح، فما يقدمه الماضي هو جواب إشكالي ما دام البحث عن السؤال يسير بمنطق إخضاع السؤال ذاته للمساءلة (le questionnement) و الإنسان بطبعه بغض النظر عن كونه فيلسوفا لا يكفّ عن السؤال؛ فالحياة برمتها هي أسئلة في حاجة على الدوام إلى أجوبة؛ و عليه إن فرضنا عبر التاريخ وجود حدث أ ثم يليه حدث ب هو في واقعه بحسب التحليل التاريخاني عند ماير عبارة عن حدث "ب" مضمن في حدث "أ" و لكن سرعان ما ينفصل عنه في الوقت المناسب؛ كأننا نقول لا ينبغي أن نعتقد أن ثورة أول نوفمبر تقوم على هذا التاريخ الرسمي؛ و إنما هي تعود إلى المقاومة الشعبية فيصير حدث أول نوفمبر مشتقا من حدث المقاومة الشعبية؛ فإن كان الاعتقاد قائما على أن المقاومة الشعبية تقدم لنا جوابا نهائيا محسوما في مصير الجزائر فنكون قد خرجنا عن جادة الصواب لأنه يتضمن في صلبه سؤالا يتعلق بحدث ثورة أول نوفمبر. و عليه يمكن أن نستكشف بأن علم الأشكلة يتحرك حول فكرة ما؛ يمكن أن نعتبرها جد بسيطة غير أن العواقب المترتبة عنها غير محسوبة و محسومة؛ فيتعذر التحكم فيها، ما يعني أن منطلق هذا العلم يستدعي النظر في مسألة التفكير، أي في طريقة اشتغاله على منحى التعبير و هو يعالج القضايا التي سخر من أجلها، الفرضية الأولى تتأسس على مقولة السبب أو المسعى لمعرفة السبب؛ فتكون الحركية في اتجاه العقلانية التي تستخدم أدوات التفكير بطريقة منطقية؛ قصد الوصول إلى حل؛ فالبحث عن السبب هو الإشكال و حيث تتحقق فرضية اكتشافه؛ سنرصد حل هذا الإشكال؛ فنجد علم الأشكلة يتراوح بين حدود طرح القضية و حلها؛ و في كل ذلك يكون مسعى تشييد الخطاب الذي يحقق هذا المبتغى على الأقل تلبية الحاجة التواصلية القسوة/ تقديم مثال :

نالت الجزائر استقلالها بتاريخ 5 جويلية 1962

كل الأسئلة التي تراود هذا الخطاب هي التي تتحكم في شرط تلقيه و فهمه من هي الجزائر؟ أين تقع؟ من هو المحتل؟ كم دام الاحتلال؟ كيف استقلت؟

فالحصول على هذه الأجوبة الجزئية لهذه الأسئلة الفرعية الضمنية؛ هو ما يشكل لدى المتلقي عمق الدلالة، و لو قرأنا نظام المحاور في النموذج الأفلاطوني لاكتشفنا المسالك التي على أساسها تظهر الأشكلة وهذا ليس ببعيد

عن طبيعة المحاور الجامعة بين سقراط (Socrate) و أوطيفرون (Euthyphron) في شأن ماهية التقوى و صلتها بالعدل على النحو التالي:

"و لكن سقراط لا يأبه لهذا الضجر من صاحبه و يلقي السؤال في صورة أخرى فيقول: هل كل تقوي عادل؟ فيجيب أوطيفرون أي نعم، فيتبع ذلك سؤال ثان و هل كل عادل تقوي، فيجيب محاوره بالنفي، فيلقي سقراط سؤالاً ثالثاً، إذن فأأي أجزاء العدل تكوّن التقوى؟ فيجيب أوطيفرون بأن التقوى هي جانب من العدل الذي تُخدم به الآلهة كما أن للعدل جانباً آخر نخدم به الناس" هي أكبر دليل على ذلك؛ حتى و إن كان قالب المحاور تقليدياً؛ ففكرة التقوى تدفع إلى التساؤل؛ ومنه يتم رصد الإجابة فتجد استنتاجات و احتواءات و تعليقات و استدراقات و مراجعات، فكل هذا المسعى الحواري الفضولي يجعل لعلم الأشكلة وجوداً و تبريراً؛ و لعل ما يفيد التذكير به في هذا السياق؛ هو كون الأشكلة لا تقتصر على شرط وجود السؤال؛ و إنما ينبغي استحضار السياق الذي يبرز وجوده، و طبيعة الموضوع الذي يعالجه، مع الأخذ بعين الاعتبار طريقة بناء الأفكار التي على أساسها يتحقق وجود الخطاب؛ و من ثمة يتحقق تأمين دواعي وجود السؤال، فلو أخذ الباحث على سبيل المثال بمراجعة هذه المستلزمات المعرفية و الشكلية تكون أحقية علم الأشكلة ضمن واقعه الطبيعي أمراً مألوفاً؛ على نحو ما يمكن تقديمه في أطروحة نصر حامد أبوزيد و هو يتطرق إلى قضايا التأويل الملازمة للخطاب القرآني فتجده على ضوء ذلك يعنّون العنصر الأول التابع للمحور الأول "مشكلات نظرية" ب: الهرمينوطيقا و معضلة تفسير النص "ضمن أسئلة معرفية لها قالب فلسفي تنطلق من رهان الحاضر لفهم الماضي؛ مبدئياً يرى نصر حامد أبوزيد بأن الهرمينوطيقا تفتح سجلاً كبيراً من الأسئلة على ضوء صلة النص أي الخطاب الديني بالتراث ومنه يثير دور القصدية في عتبة التأويل المرجوة؛ فينبه إلى مسألة الثقافة الوافدة من الآخر على شاكلة أن الهرمينوطيقا "قضية قديمة و جديدة في نفس الوقت، و هي في تركيزها على علاقة المفسرّ بالنص ليست قضية خاصة بالفكر الغربي بل هي قضية لها وجودها الملح في تراثنا القديم و الحديث على السواء و ينبغي أن نكون على وعي دائم في تعاملنا مع الفكر الغربي في أي جانب من جوانبه بأننا في حالة حوار جدلي و أننا يجب ألا نكتفي بالاستيراد و التبني بل علينا أن ننطلق من همومنا الراهنة في التعامل مع واقعنا الثقافي بجانبه التاريخي و المعاصر " و هي قد تعكس دون الحاجة إلى الاستدلال في إطار الاستجابة الموضوعية لفكرة المساءلة و صلة بناء المعنى بالبعد التاريخي على سبيل فهم الماضي و هو يستقطب رهان الحاضر كما رصدها ميشال ماير و في الوقت نفسه ما تمت معالجته في العنوان السابق (الأشكلة)

3- فحوى ثنائية الحجاج و الأشكلة

قد يتكسر حبل الوصال بين الأمرين في نطاق هذه الثنائية انطلاقاً من فرضية أن الحجاج يمكن أن يكون على صورة التحول من السؤال إلى الجواب بشكل تفاعلي مستمر إلى غاية البرهنة على مصداقية الأطروحة التي يجري الدفاع عنها أو تفنيدها من طرف المعارض ضمن موقف جدلي ما ؛ على أن نفرق بين فكرة البرهنة و الحجاج؛ فالمسألة غير متوقفة على مصداقية القضية المطروحة؛ وإنما البحث في أثر الإقناع المترتب عنها وحيث يتم استثمار عنصر الأشكلة في مضمار الحجاج ؛ يستوجب عامل إنتاجية الأفكار بشكل تناوبي تبادلي مستمر تماشياً مع العلاقة الحوارية التفاعلية القائمة بين الطرفين المتخاطبين فعندما أراد ميشال ماير أن يشرح هذه الثنائية؛ حيث يقع التلازم بين الحجاج و الأشكلة ؛ ربط ذلك بوجود حوار قائم بين طرفين أو بين فئة أو أخرى ؛على أساس جدلي ؛حيث يحصل التجاذب و التنافر حول قضية من القضايا؛ التي قد تدخل في مركز اهتمامهما(اهتمام الفردين أو الفئتين) ؛باعتبارها مصدر الجدل؛ فيتم تبعاً لذلك تبادل الحجج فيما بينهما في سبيل البحث عن حلّ للقضية المطروحة على أساس النفي أو الإثبات؛ بغرض الكشف عن الحقيقة أو الفصل في أمر صحة القضية من خطئها ؛و في سياق ذلك يكون المسار قائماً على فكرة واحدة يجري تفصيلها و تفريعها ؛بشكل يمكن للفكرة ذاتها أن تعرف تطوراً بناء و استمرارية مثمرة بوصفها صلب القضية؛ وبالتالي تصير هي المنبت الموضوعي للأشكلة ؛فيحصل استحضار جملة من الأسئلة التي تستدعي أجوبة ؛ما يبرّر أننا في مقام نقاش ؛بشرط أن يكون هذا المسلك قادراً على الوصول إلى منحنى الإقناع و الاقتناع بالرغم من تباين الآراء و المواقف بين الأطراف المجادلة . يقدم لنا ميشال ماير ضمن هذا المنحنى التعليقي مثلاً يستقيم مع النموذج البلاغي الذي يقترحه ؛و هو يحاول أن يحلل هذه الحادثة التي تحكي عن وجود شخصين ذهبا في نزهة في إحدى الغابات ؛و هما يسيران في الطريق المحفوف بالأشجار و الحشائش الكثيفة ؛شاهداً بشكل سريع و مفاجئ حزمة من الحبال الملتوية على قارعة الطريق ؛و عليه فسيتعين على الشخصين بسبب هذه الواقعة المريبة الدخول في نقاش ؛ قد تصل حدته إلى الجدل ؛ فيتمظهر حينئذ الإشكال القائم على فكرة الخطر أو الشعور بالخطر؛ انطلاقاً من فرضية تفيد أن حقيقة هذه الحبال ما هي إلا ثعابين سامة غير أن المنطلق يكون عبر السؤال التالي: هل من الممكن ما خيل إليهما في شأن هذه الحبال أن تكون عبارة عن ثعابين على وجه الحقيقة ؟ إذا سيقع التشخيص في هذه المرحلة من التساؤل؛ ثم تزداد حدة الأهمية لحظة استهداف السؤال مقام الوظيفة؛ أي في حالة افتراض أن هذه الحبال ما هي إلا ثعابين حقيقة و الأخطر أن تكون سامة ؛يطرح في هذا السياق ميشال ماير تساؤلاً افتراضياً آخر على شاكلة النفي؛ ليس بالضرورة في نظرها أن تكون جميع الثعابين سامة أو تحمل سمًا؟، و لنقل أن تكون قاتلة إن تعرضت للإنسان بسوء ،رد الفعل الآخر يمكن لهما أن يتجاهلا الحادثة و كأنه لم يحدث شيئاً و يستمران في السير بشكل عادي

شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات

ربما هذان الشخصان يريدان في جوهر تفكيرهما أن ينفيا أصلا فكرة أن الحبال هي بالضرورة الثعابين؛ فيتم حينئذ زحزحة الفكرة من وظيفة ما شاهدوه إلى حدود هويته؛ بمعنى لم تتحقق بعد مسألة الحسم إن كان ما وقع أمامهما هو مجرد حزمة من الحبال بدلا من أن تكون عبارة عن ثعابين حقيقية؛ فتكون الأجوبة مختلفة و من ثمة رد الفعل هو الآخر مختلف؛ فمن وضع سيئ فهو مجرد تهيئ باعتبار أنها حبال فلا ضرر في تخطيها مواصلة السير بأمان إلى حال أفضل من الأسوأ لحظة تبين وجود ثعابين حقيقية؛ ما يعني حينها التعرض للخطر؛ ما يستدعي مواجهته بكافة السبل . و عليه ستعالج القضية بمنطق الأشكلة في ثوب البلاغة في نطاق السؤال و الجواب. يمكن أن تتحقق قراءة هذه الأشكلة باعتبار لغوي يتفق مع نسق هذه الجملة "هذا ثعبان سام" فهي تشتغل بمثابة إجابة عن سؤالين طرحا بشكل ضمني س 1: هل هو مجرد حبل؟ أي هل هو س؟ س 2: هل هو ثعبان؟ أي هل هو س أم أنه ع / الشيء = الحبل = س / الشيء = الثعبان = ع عندما يحصل الاقتناع عبر إجابة وجود الثعبان يترجم حل الإشكال عبر فكرة مفادها ضرورة مواجهة الخطر قبل المواصلة في السير / إن كان الاقتناع بنفي وجود الثعبان سيكون الحل مواصلة السير دون أثر لأي خطر محتمل . فلو أنك تكتفي في تفكيك لقضايا هذه الواقعة في حدود المنطق سيتم تغييب السؤال و استبداله بمقدمات و استنتاجات انطلاقا من كون وظيفة المنطق تقديم إثبات التصديق أو التكذيب؛ على النحو التالي:

1- الثعابين = سامة = ع

2- هذا = ثعبان = س

3- هذا = الثعبان = سام / يؤول = س إلى ع

فحيث تطرح الأسئلة التي قد تبادر البحث في مسألة التعرّف على الموضوع (الشيء) أو الظاهرة؛ ثم سرعان ما قد تتحول إلى مسعى إدراك طبيعة الوظيفة التي تؤديها هذه الظاهرة؛ ما يعني اختبار أثر الظاهرة على أرض الواقع؛ على شاكلة الصيغة المنتقاة، سينكشف حينها الغرض الاستفهامي و منه وجه الدلالة الأصح؛ تماشيا مع خيار الإجابة المناسبة ضمن مسلك لا يخرج عن مستلزمات التبرير؛ بشكل تواصلية متكامل؛ من وضعية إنتاج الخطاب إلى حدود تلقيه، حينئذ يصير لكل سؤال إجابة محتملة و لكل إجابة تبرير يدعم كيانها، فإن حصل الإقناع يكون قد تحقق على إثرها الحجاج على مسلك الأشكلة.

قائمة المصادر و المراجع

العربية

1- نصر حامد أبو زيد. إشكاليات القراءة و آليات التأويل. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء / بيروت ط 3

1994

المتريجة إلى العربية

1-أفلاطون" .تر:زكي نجيب محمود .محاورات أفلاطون .مهرجان القراءة للجميع. القاهرة ط 2005
الأجنبية

1-Aristote.trd :Norbert Bonafous .la rhétorique d'Aristote. Ed A.
Durand libraire. Paris 1856.

2-Jacques Derrida. De la Grammatologie. LES ÉDITIONS DE
MINUIT. Paris 1967

3-René Descartes. le discours de la méthode .Ed La Gaya Scienza, ©
juin 2012.

4-Oswald Ducrot .Dire et ne pas dire : Principes de sémantique
linguistique .Ed Hermann, 1972(édition corrigée et augmentée, 1991,
1998).

Michel Meyer 1 De la problématologie : philosophie, science et
langage .Pierre Mardaga Editeur .Bruxelles.1986

2 La problématologie .Ed Que sais je. PUF. Paris 2010 .

3 Problématologie et Argumentation : ou la philosophie a la
rencontre du langage .Revue "HERMES" N°15/ Année 1995

4 La rhétorique .Ed Que sais- je. P.u.f Paris 2010

5-

6-Chaïm Perlman -L. Olbrechts .traité de l'argumentation. : La
nouvelle Rhétorique .Ed de l'université de Bruxelles 1988.

7-Vladimir Propp .Morphologie du conte .Ed Seuil 1970.

8-Constantin Salavastu. Logique, Argumentation, Interprétation. Ed
Harmattan . Paris 2007.

9-Friedrich Schleiermacher.trd: Marianna Simon. Herméneutique. Ed
Labor et Fide. Genève 1987.